افتتاحية العدد السادس

الوحدة والصمود

الدكتور
يونس الجمرة

د. يونس الجمرة

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

إربد / الأردن

Ibn Rushd

الوحدة والصمود

لم تعد الكلمات مثل الواقع، لأن الواقع غير الكلام... الواقع مؤلم على مستوى قضية فلسطين، ولم يعد الكلام الكثير مفيدًا أو مسموعًا ممن يقرأ أو يشعر بخلاف ذلك، فوضوع الصمود في قطاع غزة يحتاج إلى إمكانات تفي بالصمود، غير أن هذا الصمود لا بدّ منه لأسباب عديدة منها عدم إخلاء أرض القطاع لمبررات عديدة، لأن الخروج أو التهجير كما يسمونه يعدّ نكبة جديدة، ولكن مقومات عدم الهجرة تحتاج إلى تماسك ووحدة بين من ينقسمون في الشارع الفلسطيني، فالأصل أن الوحدة عامل داعم لمواجهة التهجير والتمسك بالأرض وعدم إضافة نكبة إلى النكبات الأخرى لأن نكبات الشعب الفلسطيني كثيرة بدءًا من عام ١٩٤٨م.

تجربة الشعب الفلسطيني في الوحدة متجذّرة منذ بدء الصراع ضد قوى الاحتلال سواء كان البريطاني أو الصهيوني، فثورات عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٦ ومعارك عام ١٩٤٨ كانت تجربة في الوحدة والتماسك بين الفلسطينيين وبين الدم الفلسطيني والدم العربي، وهذه المرحلة عاشها ثوار فلسطين بوحدتهم القتالية ضد المحتل. كما أن نكسة عام ١٩٦٧ أعطت نموذجًا مبهرًا للوحدة حين بدأت الحركة الفدائية ضد الكيان الصهيوني، واعتُبرت أهم انطلاقة للشعب الفلسطيني الذي كاد أن يختفي حيث صمت تسعة عشر عامًا حتى جاءت النكسة فأصبحت فلسطين التاريخية في قبضة الصهاينة، فكل الحركات التي ظهرت بعد نكسة عام ٦٧ كانت تعبيرًا عن المشاركة في مواجهة المشروع الصهيوني والبدء ببناء مشروع فلسطيني مقاوم للاحتلال. فالتفّت الفصائل الفلسطينية حول منظمة التحرير الفلسطينية لتقوية مشروعها

المقاوم للاحتلال، فكانت المنظمة إطارًا يواجه الانقسام والتصدي له ونجحت بضم فصائل عديدة هدفها تحرير فلسطين، وقاوموا الاحتلال ببنادقهم واسلحتهم المتوفرة، إلى أن بدأت محاولات العمل على الانقسام الفلسطيني بدعم من أطراف عربية وإقليمية ودولية.

فأهم ظواهر الوحدة الفلسطينية كانت من خلال الانتفاضة التي واجهت الاحتلال بالحجر والمقلاع وبصدور الشباب العارية، فشكلت الوحدة بين قطاع غزة والضفة الغربية وعرب ٤٨ حالة أبهرت العالم، حيث تعرّض الفلسطينيون لنسيان هويتهم، وكانت الانتفاضة أحد أسباب الاعتراف بفلسطين شعبًا وأرضًا، وجاءت الانتفاضة في مناخ عربي غير طبيعي باحتلال العراق الكويت، حيث تدخل العالم لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي لكن الصواريخ التي أصابت المحتل الاسرائيلي أثبتت أنه يمكن إصابة خصمك ولو لم تشترك معه في الحدود، فلم تعد قيمة للجغرافيا الحدودية، فأصرّ جورج بوش الأب إلى عقد مؤتمر مدريد الذي شاركت فيه منظمة التحرير الفلسطينية بغطاء أردني مما مهّد الطريق أمام ظهور إعلان مبادئ أوسلو، حيث وُقّع الإعلان في أيلول عام ١٩٩٣.

وقد لعبت الانتفاضة الأولى دورًا مهمًّا وقويًّا حيث كانت أحد أسباب السماح بدخول القيادة الفلسطينية إلى الأراضي المحتلة بهدف إعلان الدولة عام ١٩٩٨، إلّا أن مؤتمر كامب ديفيد الثاني أعطى فرصة للاحتلال بتأخير إعلان الدولة الفلسطينية على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، والتي تتألف من الضفة الغربية وقطاع غزة، فكانت العودة للقيادة الفلسطينية برئاسة المرحوم ياسر عرفات الذي دخل إلى غزة وانتقل بعد ذلك إلى رام الله في الضفة لحين الاتفاق على حل قضية القدس والعودة وبحث باقي الملفات.

وحين ولدت المقاومة الاسلامية في غزة اتخذت منها قاعدة للمواجهة المسلحة، والسبب يعود إلى الانقسام الفلسطيني حول إعلان أوسلو، فهناك من اعتبره مدخلًا إلى

أرض فلســـطين، وهناك من اعتبره تنازلًا عن أرض فلســـطين، فأخذت المقاومة الاسلامية دورها من خلال السلاح... ولكن القوة الاسرائيلية المدعومة من العالم شرقه وغربه واجهت المقاومة الاســـلامية بكل قدراتها المتوفرة والمضـــافة من الداعمين فجعلت من غزة مدينة تسـكنها الأشـباح، ولم نسـمع أو رأينا مدينة في العالم تتعرض للمسح بهذا الشكل... غير الأطفال الشهداء والأمهات والشيوخ مصرّين على صمودهم وعدم مغادرة الأرض مهما كان. غير أن اسـرائيل خلقت ظروفًا قسـرية وقهرية تجعل من الصمود الفلسطيني أسطورة لا تشبهها كل الأساطير ... ظروف المأوى والمسكن الذي لم يعد يصلح للحياة، والبنى التحتية التي دُمرت من مستشفيات ومدارس ومعاهد وجامعات وأماكن عبادة... مُضـــافًا لذلك الجوع الحرمان ومنع المســـاعدات الغذائية للمدنيين، فجاع الأطفال وقضوا جوعًا، وحرموا من الحياة كبقية أطفال العالم، فاندثرت عائلات وأســر بكامل أعضـــاءها، وهناك من بقي بلا عائلة، وبقي أطفاله يبحثون عن والديهم، ولم يعد لهم من يرعاهم.

أي صـــمود هذا الذي لم يخبرنا التاريخ بمثله، وأي تضـــحيات قدمها شـــعب فلسـطين... ألم يعد مكانًا للصـلح بعد هذا وبقاء الانقسـام الفلسـطيني والتلاعب بالألفاظ والمصطلحات؟ فلا يحتاج الشعب الفلسطيني غير الصمود الوحدة وهما عاملان أقوى أحيانًا من السـلاح، كيف حرر غاندي الهند من بريطانيا بالصـمود والوحدة؟... وكيف اســـتطاع مانديلا أن يقود شـــعب جنوب إفريقيا إلى الوحدة والعدالة بالصـــمود؟ ... فالصمود أمام عدوك يقهره ويربكه ويجعله يتصرف بهمجية وبدون عقل... فالمطلوب الآن من الشعب الفلسطيني فقط الوحدة والصمود لا غير.